ما هو اليوم الأنسب للإحتفال بمراسيم العماذ ؟

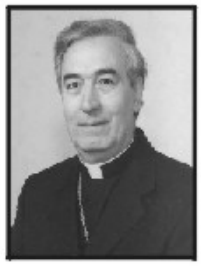

المطران أندراوس أبونا

تحتفل كنائسنا في العراق بمراسيم العماذ الجماعية يوم عيد الدنح، بمناسبة ذكرى عماذ ربنا يسوع المسيح من يد يوحنا المعمدان، بينما تقيم كنائس أخرى، في بلدان عديدة من العالم، مراسيم احتفالية كبيرة للعماذات الجماعية في مساء سبت النور، أي عشيّة عيد القيامة.

ارجو ان تعلمونا أيًّا من هذين اليومين هو الأنسب لإقامة احتفال العماذ ؟ وما هو الاقتراح الذي توجّهونه إلى كنائسنا بهذا الخصوص ؟

فادي جميل / بغداد

الجواب

إن أعيادنا المسيحية محطات تأمّل مرتبطة بإيماننا ومعتقداتنا الدينيـــة، تذكّرنا خصوصًا بمحبة الله للإنســان وبتدبيره الخلاصـــي، وتدعونا إلى تجديــد حياتنــا بالتوبة وبالمحبة.

إن اليوم الأنســب لإقامة احتفال خاص بالعماذ الجماعي هو ســبت النور، أي عشية عيد القيامة، وليس يوم عيد الدنح، وذلك لأسباب تاريخية، وأسباب كتابية/ لاهوتية ولأسباب طقسية.

. الأسباب التاريخية

بعد السلام القسطنطيني سنة 313م، ونظرًا لانتشار المسيحية بشكل سريع في الامبراطورية البيزنطية، وتنصّر الكثيرين، بدأت افواج كبيرة من الوثنيين وغير الوثنيين يعتنقون الديانة المسيحية، فقررت الكنيسة ان تعدّ هؤلاء المؤمنين الجدد للعماذ خلال الصوم الكبير، وتعليمهم المبادئ المسيحية، فكان هؤلاء يحضرون في بداية القداس لسماع كلام الله عبر قراءات الكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد والموعظة، وبعدها كان يُطلب منهم مغادرة الكنيسة إلى قاعة أخرى لتكميل تعليمهم. ولقد حفظت لنا مصادر الكنيسة مواعظ إعدادية للعماذ، منها مواعظ ثيودورس المصيصي (ت 428م)، ومار اوغسطينوس (354-430م)، ومار كيرلس الاورشليمي (313-387م)، ومار يوحنا ذهبيّ الفم (ت 407م) وغيرهم.

اما العماذ، فكان يجري عشية عيد القيامة بعد إعداد جيّد خلال الصوم، وكانت مراسيم العماذ تحتوي على الرتب الآتية :

طواف إلى بيت العماذ، صلاة تقديس ماء المعمودية، نزع ثياب الموعوظين، العماذ من خلال الغطس في ماء المعمودية ثلاث مرات، والإقرار بالإيمان، ثم الدهن بالزيت المقدس، وارتداء الثياب البيضاء، ثم العودة إلى الكنيسة حيث يشتركون في القداس وتناول القربان المقدس مع سائر المؤمنين للمرة الأولى.

. الأسباب الكتابية / اللاهوتية

لأن القديس بولس يشدّد على العلاقة الصميمة بين موت المسيح وقيامته من جهة، وبين مفاعيل المعمودية المسيحية من جهة أخرى في الفقرة الآتية من رسالته إلى أهل رومية : " أوَتَجهلون أننا، وقد اعتمدنا جميعًا في يسوع المسيح، انما اعتمدنا في موته فدفنا معه في موته بالمعمودية لنحيا نحن أيضًا حياةً جديدة، كما أُقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب ؟ فاذا اتحدنا به فصرنا على مثاله

في الموت، فسنكون على مثاله في القيامة أيضًا " (رومة 6/3-5).

هكذا إن مفاعيل العماذ المسيحي تختلف عن معمودية يوحنا المعمذان، فالعماذ المسيحي يجسّم فينا سر الفداء والخلاص، أي يميت المسيحي من خلال المعمودية الانسان القديم، انسان الخطيئة، ثم يقوم ويبدأ حياة جديدة، حياة المسيح، حياة القداسة ؛ كما أن يسوع يؤكد ان العماذ المسيحي يحقق **ولادة جديدة روحية** قائلاً في حديثه لنيقوديموس : " الحق الحق أقول لك : ليس أحد يقدر ان يعاين ملكوت الله ما لم يولد من فوق... ما لم يولد من الماء والروح... المولود من الجسد انما هو جسد، والمولود من الروح انما هو روح " (يوحنا 3/3-6، 13) ؛ وكما ان الولادة الجسدية لا تتكرر، كذلك العماذ المسيحي لا يتكرر. بينما عماذ يوحنا، الذي اعتمذ منه يسوع، هو رتبة توبوية يمكن ان تتكرر مرارًا، تمامًا كسرّ التوبة عندنا.

. الأسباب الطقسية

تؤكد مصادر كنيسة المشرق الكلدانية – الآثورية، أن العماذ يحتفل به مساء سبت النور وذلك بأمر من مجدد الطقوس المشرقية البطريرك ايشوعياب الثالث (منتصف القرن السابع)، كما يذكر المؤلف المجهول (القرن 9)[1]، وعمانوئيل بر شهاري (ت 980)[2].

تؤكد مصادر كنيستنا، أن المعمّذين كانوا بعد عماذهم، مساء سبت النور، يشتركون في قداس خاص، نسمّيه اليوم بالقداس الطقسي، ولا زلنا نقيم اليوم هذا القداس، وتتحدث ترتيلة قدس الأقداس (ܩܕܫ ܩܕܫܝܢ) عن المعمّذين الجدد، تأتي ترجمة هذه الترتيلة : " كلّكم انتم الذين اعتمذتم بالمسيح، قد لبستم المسيح من الماء والروح لكي تملكوا معه في مسكن السماء، لقد اعتمذتم بروح واحد، ولبستم الروح الواحد، وعرفتم الرب الواحد، فتدعون باسمه، وستنعمون معه في المسكن المليء بالمسرات "[3].

الحثّ على العودة إلى الممارسة الصحيحة

إننا نحثّ على العودة إلى الممارسة الأصلية أي مساء سبت النور، عشية عيد القيامة، قبل القداس الطقسي مباشرةً، ولأن هناك متّسعًا من الوقت لتعليم المؤمنين مفاهيم المعمودية المسيحية التي هي الموت والقيامة مع المسيح، وفرصة للمسيحيين الذين يشتركون في هذه المراسيم ليجددوا مواعيد معموديتهم، ويشعروا شعورًا أقوى بمفاعيل عماذهم، أي الموت والقيامة مع الرب يسوع لتزامنها مع عيد القيامة، ولأننا قد غُرسنا مع المسيح على شبه موته، ونحن مدعوون للقيامة معه على شبه قيامته، فنصبح معه غَرسة واحدة في بستان الآب بعد ان خُتمنا بالروح القدس.

---

(1) **جاك إسحق (الأب)** : العماذ عند المؤلف المجهول، مجلة "**بين النهرين**" العدد 44 (1983) ص329.
(2) **جك إسحق** (الأب) : رتبة العماذ عند عمانوئيل بر شهاري، "**بين النهرين**" عدد 42/41، 1983 ص52.
(3) **خياط – يوحنا**، حوذرا، الجزء الثاني، ص391.